فلما كانت أيام بعد مقالة (س . ا . ع) جاء إلى مجلسنا فى القهوة شاب من أصدقائنا المتأدبين ، هو الأستاذ اسماعيل خ ، وهو محام ناشئ له ولوع بالأدب وشهوة فى الجدل ، وفيه إلى ذلك لين فى الخلق وشذوذ فى الطبع ؛ وكان الرافعى يعرفه عرفاننا فما رآه حتى وجد فيه عنوان مقالة ... قال عليه يسأله ضاحكا ... وأجاب الأستاذ إسماعيل : « الزواج ! وما يحملنى على هذا العنت ؟ أتريدنى على أن أبيع حريتى من أجل امرأة ؟ ... » ومضى يؤيد دعواه بالبراهين والأمثال ...

وتم للرافعى موضوعه ، فأملى علىّ فى اليوم التالى مقالة « استنوق الجمل »

فى هذه المقالة يجد القراء سبباً آخر لانصراف الشباب عن الزواج غير ما قدّم س . ا . ع فى المقالة السابقة ؛ فهى الحلقة الثانية من هذه السلسلة ...

وأحس الرافعى بالتعب ، فانصرف عن الكتابة أسبوعاً ليستجم ، ولمّ من هنا ومن هناك طائفة من منثور القول فأرسله إلى الرسالة بعنوان كلمة وكليمة . وهي عبارات قصيرة من جوامع الكلم ، ليس بينها رابطة فى الفكر ولا فى الموضوع ، وكل كلمة منها موضوع بتمامه

وقد قدّمت القول عن هذه الكلمات القصار التى كان الرافعى ينشرها بعنوان « كلمة وكليمة » ؛ فحسبى هنا أن أشير إلى موضوع هذه الكلمات ودوافعها :

فى هذه الكلمات التى نشرها بالعدد ٦٥ سنة ١٩٣٤ كلمات عن المرأة والحب ؛ وهذه من فضلات المعانى التى اجتمعت له فى مقالات المرأة والزواج ولم يجد لها موضعاً مما كتب . . . وفى هذه الكلمات رسائل إلى (فلانة) من تلك الرسائل التى قدّمت الإشارة إليها عند الحديث عن حب الرافعى . وفيها كلمات عن السياسة المصرية يعرف دوافعها من يذكر الحال السياسة التى كانت فى مصر لذلك العهد وحكومة صدقى باشا تحتضر . . .

فمن هذه العناصر الثلاثة اجتمع له هذا القدر من كلمة وكليمة

« طنطا » محمد سعيد العريان

* * *

ورجاء إلى الاخوان الذين يشرفوننى برسائلهم أن يجعلوا عنوانى (مؤقتاً) على دار الرسالة حتى تستقر بى الرحلة

تعليم أبنـــاء الفقراء
فى انجلترا

للآنسة الفاضلة أسماء فهمى

درجة شرف فى التاريخ ودرجة الأستاذية من انجلترا
وأستاذة بمعهد التربية

استأثرت الطبقات الغنية فى انجلترا بما كان يعد أرقى أنواع التعليم والثقافة إلى ما بعد منتصف القرن التاسع عشر . وكان يتلقى أبناء تلك الطبقات العلم فى المدارس الخصوصية وفى جامعتى اكسفورد وكمبردج ، ذات النفقات الباهظة والنزعة الأرستقراطية البحتة ، تلك المعاهد التى استحالت بالتدريج إلى معاهد خاصة يذوى اليسر والجاه وأن لم تنشأ فى أول الأمر من أجل هذه الطبقة بالذات

أما أبنـاء الطبقات الفقيرة فكانوا يتلقون قشور العلم فى مدارس أولية متواضعة تشبه الكتاتيب فى مصر فى أكثر نظمها وأساليبها . وكان يقوم بتأسيس هذه المدارس الجمعيات الخيرية وأهل البر والإحسان ؛ أما الحكومة فلم تتدخل فى أول الأمر تدخلاً مباشراً فى شئون التعليم بل اكتفت بتقديم الأعانات المالية للجمعيات ابتداء من سنة ١٨٣٣ ، وبتكوين اللجان من حين إلى حين لدرس حالة التعليم وتقديم الاقتراحات والتقارير للقائمين بشأنه ، مما كان له أثر يذكر فى النهوض بالتعليم وتوجيهه التوجيه الصالح

ولقد كانت نظرة الحكومة والمتطوعين لنشر التعليم بين الفقراء قاصرة مبتورة ، إذ كان الغرض مجرد القضاء على الأمية وتعليم الأطفال بعض الأعمال اليدوية التى قد تساعدهم على كسب الرزق . وعلى ذلك كان منهج الدراسة الأولية عبارة عن مبادئ القراءة والكتابة والحساب والدين ذلك الذى كان يمزج بتلقين الطاعة للرئيس والقناعة بنصيب المرء فى هذه الحياة الدنيا . والواقع أن التعليم كان مبنياً على أساس الاحتفاظ بنظام الطبقات المتيق وخضوع الفقراء للأغنياء ، فكان يخشى أن يؤدى التوسع فى تعليم الفقراء إلى عدم رضائهم بحظهم من الحياة . ولقد تجلت تلك النظرة المحدودة فى تقرير اللجنة المعروفة بلجنة نيوكاسل Newcastle Commission التى عهد إليها بدراسة حالة تعليم أبناء الشعب فأصدرت تقريراً وافياً عام ١٨٦٠ أعلنت فيه رضاءها عن حالة

تعليم أبناء الفقراء إذ ذكرت بشيء من الدهشة أن في مكنة ثلاثة أخماس التلاميذ المدونة أسماؤهم في سجلات المدارس الأولية أن يتعلموا القراءة والكتابة دون صعوبة ظاهرة ، وأن يقوموا باجراء العمليات الحسابية البسيطة التي تتصل بحياتهم اليومية كما يتلقون مبادئ الدين الأساسية وما يتصل بها من التعاليم الخلقية ... أما مواد الثقافة العامة كالتاريخ والجغرافيا التي كانت قد بدأت تشق لنفسها طريقاً في المنهج فلم تعرها اللجنة التفاتاً إذ لم تكن معتبرة من المواد الأساسية

على أن تلك النظرة الضيقة إلى تعليم أبناء الفقراء أخذت تتغير تغيراً كبيراً في الثلاثين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر تحت تأثير عوامل مختلفة أهمها انتشار الأفكار الحرة ونمو حركة العمال واتساع نطاق الحقوق الانتخابية التي شملت طبقة العمال سنة ١٨٦٧ ، فأصبحت تلك الطبقة تلعب دوراً هاماً في مصير الأمة وتكييف شئونها . وسرعان ما شعرت الطبقة الحاكمة بأهمية هذا الانتقال الذي أوجب تعليم الطبقات الفقيرة بما أنها ضمت إلى زمرة السادة والحكام نتيجة تعديل نظام الانتخاب . وعلى ذلك نجد الحكومة الانجليزية تتدخل تدخلا جدياً في شئون التعليم وتسن القوانين لتعميم التعليم الأولى (Elementary education) . ففي سنة ١٨٧٠ صدر قانون بتكوين مجالس للتعليم الأولى (School Boords) في المناطق المختلفة التي تقل فيها أو تنعدم المدارس التي كان يقوم بانشائها الجمعيات الخيرية للقيام بسد النقص وتوفير التعليم لجميع أبناء الشعب ، كما جعل من اختصاصها الاشراف على التعليم في المدارس الأولية المختلفة بينما جعلت مدة الدراسة الأولية خمس سنوات من سن الخامسة إلى العاشرة . على أن التعليم لم يصبح إجبارياً بعاقب القانون على تركه إلا في سنة ١٨٨٠ . ومنذ ذلك الانتقال الهام أدخلت مواد جديدة في برامج التعليم الأولى في حين منحت إعانات مالية لكثير من التلاميذ الفقراء النجباء لمساعدتهم على دخول المدارس القانونية والفنية والجامعات . وهكذا نجد أن اتساع دائرة الحقوق النيابية في انجلترا يقابلها اتساع وإصلاح في دائرة تعليم الفقراء ، وفي ذلك بلا نزاع لب الحكمة ، إذ أن الخطر كل الخطر في وضع القوة السياسية أو الحقوق الانتخابية في يد قوم جهلاء يقضون على الديمقراطية باسم الديمقراطية

وفي القرن العشرين خطا تعليم أبناء الفقراء خطوات واسعة حوالى سنة ١٩٠٠ ، فمدت مدة الدراسة الأولية إلى سن الرابعة عشرة ، وأنشئت الخدمة الطبية للمدارس سنة ١٩٠٧ للاهتمام بصحة فقراء التلاميذ . وكان للحرب الأوربية الكبرى أعظم الأثر في تدعيم مبادئ الديمقراطية والمساواة ظهر أثره بجلاء في ميدان التعليم والعناية بأمر الأطفال دون تمييز بين الطبقات . ويشير الأرل بلدوين رئيس الوزارة الانجليزية السابقة إلى تلك النزعة الحديثة عند ما يقول : « إن وجود نوع واحد من الثقافة من أقوى عوامل الوحدة والائتلاف بين أفراد الشعب ، وإن انجلترا لم تربح في الماضي بسبب عدم اهتمامها بتكوين التفاهم والارتباط العقلي بين طبقات الأمة . فلقد كانت مدارسنا مقسمة بحسب الطبقات لا بحسب الفروق العلمية ... ولكن قد بزغ فجر عهد جديد الآن ، فان بناء المدرسة الأولية الهرم قد أقيم أخيراً على أنقاضه بناء جديد ... »

والواقع أن هذا القرن يمتاز بالرغبة والعمل على القضاء على آثار الفروق المادية والاجتماعية من ميدان التعليم ، تلك الفروق التي لم تكن تؤدي إلى الاختلاف في أنواع الثقافة والتربية بين أبناء الشعب فحسب ، وإنما كانت تحول في أغلب الأحايين دون ظهور نبوغ أبناء الفقراء لسبب إهمال تنمية مواهبهم مما ينتج عنه بطبيعة الحال إقلال عدد النابغين في الأمة خصوصاً إذا راعينا أن الطبقة الفقيرة لا يقل عدد أفرادها عن أربعة أمثال عدد أفراد الطبقة الغنية والمتوسطة معاً ، وأن عدد النابغين فيها إن لم يزد على عدد الموهوبين في الطبقتين المذكورتين لا يمكن أن يقل ؛ وهكذا يضيع نصف نبوغ الأمة سدى إذ يقصر على تأدية الأعمال الوضيعة التي لا تستغل ولا تنمى المواهب العالية

ولتحقيق أغراض التربية الحديثة يبدأ الاهتمام بأمر الأطفال الفقراء في سن مبكرة ؛ فمن سن الثانية إلى الخامسة يرسل الأطفال — إذا أرادت الأم — إلى مدارس الحضانة Nursery Shcools التي توجد عادة في الأحياء الصناعية الفقيرة المكتظة بالسكان حيث تضطر الأمهات في أغلب الأحيان إلى مغادرة منازلهن في الصباح الباكر للعمل مع أزواجهن في المصانع ؛ فتقوم هذه

المدارس بتمهد الأطفال للعب فى أمكنة معرضة لأشعة الشمس والهواء، وتزود بكل أنواع اللعب المعدة للتسلية والحركة والابتكار؛ ويقضى الأطفال اليوم فى اللعب والغناء والحركات التوقيعية وسماع القصص المصورة كما يعودون على القيام ببعض الأعمال التعاونية كالاشتراك فى إعداد مائدة الطعام وتنسيق الأزهار وترتيب الحجرة، كما يعودون على آداب المائدة والترتيب والنظافة واحترام رغبات الغير

ويبدأ التعليم الالزامى من سن الخامسة إلى الرابعة أو الخامسة عشرة . وتقسم مرحلة التعليم الالزامي الآن إلى ثلاث مراحل؛ فالمرحلة الأولى من سن ٥ — ٧، وفى هذه المرحلة تسير الدراسة وفق برنامج رياض الأطفال فى مصر فيهتم بالألعاب والقصص والرسم والأناشيد والرقص، ويبدأ تعليم القراءة والكتابة عن طريق اللعب . والمرحلة الثانية من سن ٧ — ١١ . وفى هـذه المرحلة يدرس الأطفال مايدرسه تلاميذ المدرسة الابتدائية المصرية ماعدا اللغات الأجنبية فى أكثر المدارس . ويهتم فى هـذه المدارس اهتماما كبيرا بالأعمال اليدوية والموسيقى . أما المرحلة الثالثة فتبدأ من سن ١١ — ١٤ أو ١٥ وهذه المرحلة تعرف برحلة التعليم الثانوى . وعند بدء هذا الدور يعقد امتحان عام للتلاميذ الذين يبلغون الحادية عشرة، ويقتضى نتيجة هذا الامتحان يقسم التلاميذ إلى ثلاثة أقسام ، فالتلاميذ المتفوقون يرسلون إلى المدارس الثانوية التى تعد للجامعات والوظائف الفنية ؛ والذين يكونون فى المرتبة الثانية يذهبون إلى نوع آخر من المدارس الثانوية تسمى المدارس المركزية (Central Schools) تختلف عن المدارس الثانوية العادية فى كونها تتجه فى السنتين الأخيرتين اتجاها عمليا ، فترتبط مواد الدراسة بالبيئة كأن تشمل مادة الجغرافيا دراسة حالة البلد الاقتصادية وأسواقها التجارية وصناعاتها وعلاقاتها بالأمم الأخرى الخ، وكأن تكون اللغة الأجنبية التى تدرس لغة حية يكون الغرض من دراستها التفاهم بخصوص الشئون التى تتصل بحياة الطالب وعمله ودائرة تفكيره لا أن تكون أكاديمية بمعنى أنها تهتم بخواص الأجرومية أو المعانى والمصطلحات التى قلما يحتاج إليها فى الحياة العملية . أما تلاميذ المرتبة الثالثة فيرسلون إلى مدارس ابتدائية راقية (Senior School) تتمشى برامجها إلى حد مامع برامج المدارس الثانوية من ناحية الاهتمام بالثقافة العام بينما توجه عناية كبيرة إلى إعداد الطالب لبيئته الخاصة فتهتم مثلا بالعلوم الزراعية إذا كان الطالب يعيش فى بيئة زراعية، أو بالمواد التجارية إذا كان الطالب يعيش فى منطقة تجارية . وبالجملة يراعى فى هـذا التقسيم التمشى مع مقدرة الطالب العقلية ثم الاهتمام بالناحية الثقافية وتوسيع دائرة اهتمام الطالب بالروابط الانسانية ونواحى الحضارة المختلفة . ولا يقصد بهذا التقسيم التوجيه المهنى بالذات أو إعداد الطالب لكسب العيش بطريقة مباشرة ، وإنما الغرض الأول من الدراسة الالزامية فى مراحلها الثلاث أى من سن الخامسة إلى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة هو إعداد الطفل لأن يكون إنساناً مهذب الخلق والاحساس ذا قسط من الثقافة قبل أن يعد لأن يكون تاجراً أو صانعاً

ولا يقصر الاهتمام فى هذا الدور من التعليم على التربية العقلية والخلقية ، وإنما يولى أولو الشأن عناية كبرى إلى صحة التلاميذ الفقراء . فلقد جعل لهم عيادات طبية يشرف عليها أطباء وممرضات تعطى العلاج والدواء مجاناً للتلاميذ ، وتقوم الممرضات بعيادة منازل الأطفال لتوجيه النصح والارشاد للأمهات كما توجد مستشفيات ودور نقاهة خاصة بهؤلاء الأطفال . كذلك تعمل المدارس على علاج ضعاف الأجسام من فقراء التلاميذ بتقديم اللبن لهم مجاناً حتى فى أيام المسامحات لمن تظهر عليهم علامات الضعف بسبب رداءة التغذية . ومما يستحق الذكر فى هذا المقام أن الأموال التى جمعت لعمل تذكار للملك جورج الخامس خصصت لشراء أراض واسعة تستعمل ملاعب للأطفال الفقراء

ولقد كان من نتائج زيادة الاهتمام بالتعليم الالزامى وتعديل مناهجه مضاعفة الاهتمام بالمدرسين وإعدادهم إعداداً يتمشى مع تلك النزعة الديمقراطية الحرة ؛ وعلى ذلك نجد الاتجاه الآن أن يكون المدرسون ممن حصلوا على تعليم جامعى أو ما يعادله حتى تتوفر لديهم الثقافة الواسعة والتهذيب العقلى والعاطفى الذى يحتاج إليه مربي النشء من بيئة ديمقراطية

ولا تقف مطامع المشتغلين بالتربية فى انجلترا وأنصار مبادئ الديمقراطية والمساواة عند هذا الحد إذ هم لا يكتفون بتعليم أبناء الفقراء حتى سن الخامسة عشرة بل يطالبون باطالة مدة تعليمهم